الفصل العاشر

أمثلة وحالات

يلاحظ القارىء أننا أرجأنا الأمثلة أو ذكر الحالات للتدليل على بعض النقط ونحن بسياق بحثها ، وقد كنا نشعر بالحاجة إلى التمثيل فى بعض الأحوال ، وقد كان هذا الشعور يطغى علينا فيفسد الخطة التي وضعناها لهذا الكتاب ، وقد نكون اخطأنا فى هذا النظام ولكنا ظننا أن هذه سياسة معقولة واتبعناها بغض النظر عن الحرج الذى كنا نحسه في بعض الأحوال.

سرنا على هذه الأسس التى بيناها فى فصول هذا الكتاب وتعاملنا مع الصبيان بمقتضى هذه القواعد التى ذكرناها واتبعنا البرنامج الذي وضعناه ما استطعنا إلى ذلك سبيلا واستجاب الصبيان لهذه المجهودات على مر السنين التي قضيناها معهم ، ينشطون وننشط معهم بهذه الروح وكنا نشاهد استجاباتهم لهذا الوضع من الحياة الجمعية ومن حياة الجماعات فاجتمعت لدينا مئات من الحالات يضيق بها كتاب بجملته ناهيك بفصل من كتاب وقد تخيرنا بعض هذه الحوادث لسردها على القارىء فى هذا الفصل.

وبعض هذه الحوادث يدل على الكرامة الشخصية وبعضها يدل على الولاء للجماعة وبعضها يدل على الشجاعة والثقة بالنفس أو بتقديس القوانين العامة والخاصة بالنادي وبقوانين الدولة أيضا وبعضها يدل على فهم الوطنية والحكومة ، ومعنى الحكومة فى الشعوب . ثم يدل كثير منها على هذه العناصر مجتمعة أو على كثير منها تعمل معا فى نفس الوقت ولا نزمع أن نفصل هذا ، لا نزمع أن نبين ما تدل عليه هذه الحالات من الدوافع النفسية

أو الاجتماعية المفردة أو المجتمعة وإنما سنترك هذا للقارىء يرى منه ما يريد أن يرى ويستقري منه النتائج التي يريدها

وكان من حظ الكاتب أن يعمل في إدارة عدة منشئات للصبيان علاوة على هذا النادي بالذات ويطبق فيها كلها هذه الوسائل بمثل هذه الروح ، ولذلك يستصيح القاريء في ذكر بعض الحالات من بعض هذه المنشآت فكلها تصلح للتمثيل على ما قدمنا من أبواب هذا الكتاب.

وقبل أن نذكر بعض هذه الحالات يذكر الكاتب أنه قابل ضابط بوليس في حي هذا النادي فسأله رأيه في أهل الحي رجاله ونسائه وأطفاله فقال الضابط «الواقع اني عملت في كل حي من أحياء القاهرة واتصلت بحكم عملي في البوليس بأهل جميع الأحياء ، فلم أر رجالا شر من رجال هذا الحي ، ومع ذلك فأطفاله خير من أطفال جميع الأحياء التي عملت فيها ، فعدد الأطفال الذين يؤتي بهم لمقر البوليس للمخالفات الكثيرة التي يأتونها في الأحياء الأخرى تفوق أضعافاً مضاعفة عدد ما يؤتي به للبوليس من أطفال هذا الحي .

قالى القارىء بعض الحالات

(١)

في بدء حياة النادي كنا نريد بالطبع أن نحمل الصبيان على التعود على الاستحمام ونظافة الأبدان ، فلم نشاء أن نرغبهم أو ندفعهم بالقوة الى الاستحمام فاتفقنا فيما بيننا وكان الوقت شتاء أن نلعب مع الصبيان ثم ندخل للحمام ونستحم دون كلام أو وعظ ، فعملنا هذا كل يوم دون انقطاع طيلة شهري فبراير ومارس ، وكان الصبيان يراقبوننا وهم يعجبون وفي يوم ما دار هذا الحديث بيننا

صبي — ماذا تعملون فى داخل الحمام ؟

الرائد — نستحم .

صبي آخر — تستحمون ! تضعون الماء على أجسادكم حقاً .

الرائد — نعم نستحم فى الواقع .

صبي ثالث — فى هذا البرد القارس !

الرائد — نعم في هذا البرد القارس !

صبي — لماذا هذا — الاتخشون أن تصابوا بزكام أو سعال ؟

الرائد — لانخشى هذا أو ذاك .

صبي — كيف ذلك ؟

الرائد — عندما يلعب الانسان يعرق ، والعرق قذارة على الجسم لأنه سم يفرزه الجسم عندما يلعب الانسان ، ونحن بالطبع لانود أن نبقي بهذا الشيء القذر الضار بالصحة ، هذا أولا ، وثانياً تبخر هذا العرق إذا ترك وشأنه يسبب الأمراض الشتوية مثل الزكام والسعال وما أشبه ، وأنا لا أريد أن أصاب بمرض ، ثم هنالك قاعدة عامة بين الرياضيين وهي أنه لالعب دون استحمام بحال من الأحوال ، وأنا رجل رياضي وأعمل مثلما يعمل الرياضيون .

صبي — وهل إذا أخذت أنا حماماً يفيدني ؟

الرائد — بالطبع يفيدك ، وانما يجب أن تتبع قواعد الاستحمام الرياضي ، وهو عدم البقاء تحت الدش أكثر مما يلزم للنظافة العامة ، ثم يجب تجفيف الجسم تماماً بعد الاستحمام وتدليكه بالمنشفة حتى يذهب أثر الماء عن الجسم .

صبي — ولماذا لا نستحم هنا نحن ؟ .

الرائد — هذا سؤال تجيب عليه أنت .

ثم تركهم وانصرف ، وبعد يوم أو يومين أقبل بعض الصبيان على الاستحمام ، وتبعهم غيرهم وغيرهم ، إلى أن أصبح الاستحمام بعد اللعب القاعدة المرعية في جميع الأحوال ، لا بل أصبح العرف عندهم أن من لا يستحم لمرض أو لجرح فيه لا يلعب أصلا .

(٢)

ارتدى صبيان ملابس اللعب تحت جلابيتيهما وخرجا بها من النادي نقصد سرقتها والانتفاع بها بطريقة من الطرق ، ورآهما صبي آخر وكان ذلك عند موعد خروج الصبيان من النادي فجمع حوله بعض الأعضاء ، وخرجوا في أثر الصبيين ولحقوا بأحدهما بعيداً عن النادي ، فأمسكوه وأرغموه على خلع ملابس النادي وأخذوها منه ، وأما الصبي الثاني فتمكن من الهرب ، فاقتفوا أثره وذهبوا الى منزله ووجدوا أباه هنالك ، وأخبروه بما حدث فأنكر الرجل الأمر دون أن يعنى بتحقيقه ، قالوا له انهم رأوا الصبي يأخذ الملابس ، فاذا لم ترجع لهم في الحال يرسلون منهم من يبلغ البوليس .

فأمر الرجل ابنه باحضار الملابس ، وجمع الصبيان هذه وتلك وأرسلوا بها وفدا لدار رئيس الرواد وصل الى الدار الساعة العاشرة مساء ، ثم سلموا الملابس له وقفلوا راجعين .

أقام النادي حفلة كبرى دعا اليها مئات من الأعيان ورجال الحكومة وبعض الوزراء لمشاهدة نشاط المعهد ، وقام الصبيان فيها ببعض الألعاب والتمثيل والأغاني مما سر الحاضرين وجعل الجرائد تتحدث عنهم ، وكان أن اتهمتهم بعض الجرائد «الأطفال المشردين» فغضبوا لهذا ، وأظهروا للرواد غضبهم هذا ، واتهموا كاتب هذه السطور بأنه هو الذي كتب

هذا الكلام فى الجرائد وأنه هو الذي اسماهم «الأطفال المشردين»، وأبلغه بعض الرواد شكوى الصبيان منه وغضبهم مما كتب. فاتفق الكاتب مع الرواد على دعوة جميع الأعضاء لاجتماع عام يحضره الجميع لمحاسبة الكاتب على تصرفه المزعوم.

فحضر منهم عدد كبير يقرب من المائتين. وكان الكاتب قد حرص على أن يحضر معه بعض الجرائد والمجلات القديمة والجديدة، وبها نقد شديد لبعض الوزراء وكبار الموظفين، ثم اجتمعنا برئاسة صبي منهم.

الرئيس — ها هو فلان أمامكم — قولوا أمامه ما كنتم تقولون فى غيابه. انقدوا تصرفه وهو حاضر كما كنتم تنقدون تصرفه وهو غائب (فارتفعت أيد كثيرة يطلب أصحابها حق الكلام وأشار الرئيس إلى أحدهم فوقف)

صبي — (موجها الكلام للكاتب) غضبنا منك لأنك كتبت مثل هذا الكلام عنا وقد كنا نعتقد أنك صديق لنا.

صبي — نحن لسنا أطفالا مشردين

صبي — لماذا تطلب إلى الجرائد أن تكتب عنا هكذا

صبي — لماذا لم تمنعهم

صبي — أنت الذي دعوت أصحاب الجرائد لهذه الحفلة وبالاختصار كان الصبيان مقتنعين أن هذا من عمل كاتب هذه السطور وبتدبيره وقد كرر الصبيان هذا القول وذكره منهم ما يقرب من العشرين صبياً.

الرئيس — أصبحنا لا نسمع شيئا جديداً فكل عضو يكرر ما قاله سابقه ويظهر أن القول فرغ من عندنا (ثم التفت إلى الكاتب وقال) تريد أن تقول شيئا ؟

الكاتب — سررت كثيراً لبعض المظاهر التي رأيتها الآن منها أنكم تشعرون أنكم أحرار وأنكم تستطيعون أن تعبروا عن ما هو بداخل نفوسكم دون أن تشعروا بحرج من ذلك ومنها أنكم معتدلون في التعبير عن شكواكم فلا شطط في القول ولا خروج عن حدود اللياقة وأرجو أن تستمروا في هذا تدفعون عن أنفسكم ما تظنونه اعتداء وإهانة وتدفعونه بتعقل ورزانة في حدود الكلام الموزون

الصحافة في كل بلدان العالم حرة إلى حد كبير تتفاوت بتفاوت الاسم ، وإنما جميعها حر إلى درجة ما ، فتستطيع الجريدة أن تنقد أية منشأة وأية جماعة دون أن يمنعها أحد فلو فرض إنها لا تحب نادي كوبري الليمون أو نظامه أو أعضاءه أو القائمين به ، تستطيع أن تهاجم هؤلاء جميعاً دون أن يستطيع أحد منعها .

لا بل تستطيع الجرائد أن تهاجم الوزراء ورجال الدولة وتنقدهم من الانتقاد دون حرج عليها ، وأمامي الآن بعض أعداد الجرائد والمجلات فاسمحوا لي أن أقرأ عليكم بعض ما تقول في الوزراء ورؤساء الوزراء والبرلمان وأعضاء البرلمان ، (ثم قرأ الكاتب بضعة سطور من كل جريدة وشرح مركز المنتقد من الحكومة والأمة)

يتبين من هذا أننا لا نملك إلا أن نتحكم في تصرفاتنا نحن أما تصرفات الجرائد فلا حكم لنا عليها وعلى هذا فأمامنا حالتان لا ثالث لهم .

١) نمتنع عن إقامة الحفلات كلية

٢) نقيم الحفلات كالعادة المتبعة وندعوا إليها ممثل الجرائد ونرجو على الله أن يكتبوا عنا ما نحب أما إن كتبوا ما لا نحب فيجب علينا أن نبلغ النقد دون تبرم والآن اختاروا ما تشاءون وقرروا ما يحلو لكم ونحن ننفذ قراراتكم بحذافيرها .

صبي — ماذا يكون الشأن لو أقمنا الحفلات ولا ندعو ممثلي الجرائد لها .

الكاتب — ليس هذا عملياً لأننا لا نستطيع منعهم من حضورها إن أرادوا هذه الحفلات عامة ولهم الحق كباقي الناس في حضورها .

الرئيس — أمامنا الآن حالتان إما أن نكف عن إقامة الحفلات أو نقيم الحفلات وندعو اليها ممثلي الجرائد ونحتمل ما يكتبونه عنا إن كنا لا نستسيغه .

صبي — قال فلان (الكاتب) إنه لم يكتب عنا هذا الكلام في الجرائد ونحن نشكره على هذا ونرجو أن لا يؤاخذنا على تسرعنا في استنتاج النتائج

صبي — نعم المسألة الآن بين نادينا وبين الجرائد

صبي — لا نقيم حفلات حتى لا يشتمنا أحد

صبي — كيف لا نقيم الحفلات وهي كالعيد عندنا نرى فيها أناساً كثيرين ونتنشط ونسر !

استمرت المناقشة في هذا نصف ساعة ومجمل ما كان يقوله الصبيان نعم أو لا ولم يأتوا بأسباب جديدة للرفض أو القبول وكل ما كانوا يقولونه ويكررونه هو ما ذكره الصبيان قبلهم .

الرئيس — يظهر أنه لا شيء جديد عندكم تقولونه فلنأخذ الأصوات

الكاتب — أرجو أن يكون أخذ الأصوات بالوقوف

الرئيس — من يوافق على إقامة الحفلات ودعوة محرري الجرائد يقف (وقف الأعضاء ويخيل للكاتب أن القرار بالاجماع فلم يكن يرى صبياً قاعداً)

الرئيس — من يعارض فى هذا ويطلب الكف عن إقامة الحفلات يقف (وقف عشرة أعضاء)

الرئيس — إذن فقراركم هو هذا . نقيم الحفلات وندعو اليها محررى الجرائد ثم نحتمل ونرضى بما يقولونه فينا دون تذمر ، ثم إن الأفندية هنا غير مسئولين عما تكتب الجرائد .

صبى — فقط نرجو من فلان (يعنى الكاتب) أن يدلنا بطرف خفي على محررى الجرائد حتى نتلطف اليها (نحبهم — الكلمة التى استعملها) ونتودد لهم عسى أن يترفقوا بنا عندما يكتبون .

الكاتب — حاضر

الرئيس — انتهت الجلسة .

— ٤ —

كان أحد الرواد يهم بركوب الترام ، وإذا بصبى ينزل منه ويحيي الرائد سلاما ويسير لحال سبيله وإذا بأحد الركاب — وقد كان لا يعرف الرائد ولا الرائد يعرفه — يقول:

الراكب — حضرتك تعرف هذا الصبي

الرائد — نعم

الراكب — من أين عرفته

الرائد — هو عضو في نادى كوبرى القبة

الراكب — برافو

الرائد — لماذا ؟

الراكب — أتعرف كوبري الليمون هذا ؟

الرائد — نعم

الراكب — هل يصرح لي أن أزوره ؟

الرائد — بالطبع

الراكب — أين مكانه ؟

الرائد — في الحي الفلاني شارع كذا نمرة كذا

الراكب — ما هـو ؟

الرائد — نادٍ لأطفال الشعب

الراكب — برافو

الرائد — لماذا كل هذا (وقد ثار فيه حب الاستطلاع)

الراكب — هذا الصبي الذي رأيت ركب الترام في المحطة الفلانية، فحضر الكمساري مهرولا ويقول انزل ياولد انزل ياولد، فما كان من الصبي إلا أن قال له — أنا عضـو في نادي كوبري الليمون ، وهاك تذكرة عضـويتي ، ونحن أعضاء كوبري الليمون لا نركب الترام سرقة أو خديعة نحن نسير على الأقدام ان لم يكن عندنا ما ندفعه أجرة لركوب الترام ، ونركب عندما نستطيع أن ندفـع — هاك ثمانية مليمات فاعطني تذكرة ، ثم جلس الصبي على المقعد، فاعجبت لهذا التصرف، ووددت لو أعرف كوبري الليمون هـذا ، فما هو وماذا يصنع . وكان الـترام قد وقف فحي الراكب ونزل

obeikandl.com

— ٥ —

كان الكاتب فى نادي كوبري الليمون فى إحدى الأمسيات ، وبعد أن فرغ من عمله هناك خرج ماشيا ليعود لعمله فى مكتبه ؛ فلمحه صبي عند الباب وأظهر رغبته فى السير معه للسامرة والحديث ؛ فسر الكاتب.

الصبي — أريد أن أستشيرك في أمر

الكاتب — تفضل

الصبي — هل تعرف أحد فى قلم المرور

الكاتب — كلا ـ ولكني أستطيع أن أتوصل إلى معرفة بعضهم إن أجهدت نفسي فى ذلك ؛ وسأجهد نفسي إن طلبت إلى ذلك.

الصبي — لقد ذهبت بنفسي إلى قلم المرور لاستخراج رخصة سواق عربة (كارو) فأحالوني إلى الكشف الطبي ، ولكني وجدت صعوبة هنالك ، وقد كنت أظن أنك تعرف الطبيب هنالك حتى تكلمه

الكاتب — لا أعرف الطبيب ولكني أستطيع أن أتوصل إليه إن أردت عن طريق بعض الأصدقاء فماذا تريد أن أعمل؟

الصبي — والدي عربجي وعنده عربة (كارو) وحصان وهو يملكها جميعاً ، وقد شاخ والدي وكبر ، وأريد أن أحل محله وأتخذ حرفته ، ويلزمني لهذا رخصة من قلم المرور فذهبت هنالك وقدمت طلباً فأحالوني إلى الكشف الطبي كما أخبرتك.

ثم كشف علي طبيب وقال لي ان عيني لا تصلحان لهذا العمل ، فرضيت بهذا مضطراً لأنه إذا كان القانون لا يسمح لمثلي باحتراف النقل وقيادة العربات فنحن نخضع

للقانون دون تذمر لأنه إنما وضع لخدمة الناس والشعب ولحمايتهم من الطوارئ . وأنا لا أريد ان أكسر القانون أو أعرض مصالح الناس للخطر ، فقلت في نفسي نبيع العربة والحصان ، وأحترف أنا حرفة أخرى لنعيش منها ، وكنت سالجأ اليكم لتعينوني على هذا .

ولكن حدث بعد هذا ما غير في رأيي وبدل ، ذلك أن المتمرجي التابع للطبيب لحق بي عند الباب وقال لي أنه يستطيع أن يمررني في الكشف الطبي لو قدمت للطبيب ثلاثين أو أربعين قرشاً أسلمها للتمرجي . فأمهلته بعض الوقت وخرجت خارجا لأفكر في الموضوع .

كان في جيبي هذا المبلغ وخطر ببالي لاول وهلة أن ادفعه واحصل على الرخصة ولكني تدبرت الأمر مليا ، فنظرت إلى الاطباء من الداخل ، وقلت في نفسي — هل يعقل أن مثل هؤلاء البكوات الكبار العظام يطمعون في اربعين قرشا من شخص مثلي فقير يسعى لعيشه عن طريق جمع الملبات ، لا أظن ،لا بد أن التمرجي هو الذي يطمع شخصيا في الاربعين قرشا .

ومع ذلك فلا يهم هل سيأخذ التمرجي النقود لنفسه أم يعطيها للطبيب حقا،المهم أن هنالك حالتين لا ثالث لهم.

١ — أن عيني لا تصلحان لمثل هذا العمل وأن قانون البلاد يمنع أمثالي من احتراف النقل ، وفي هذه الحالة لا يصح لي كمصري وكمواطن أن يعمل على كسر القانون الذي وضع لضمان مصالح الناس ، إذا كان هذا الغرض

صحيحا فانا كمصري يجب على أن امتنع من تلقاء نفسي عن الاعتراف بهذه الطريقة .

٢ — أما هذا أو أن عيني تسمحان بذلك وقانون البلاد يعطيني هذا الحق ، في هذه الحالة أريد أن أستمتع بحق الذي يخولني اياه القانون ، ويجب على الاطباء والتمريض أن لا يمنعوني هذا الحق ، هذا شيء لا يطاق ويجب أن اعمل على رفعه . واظن أن ادارة كوبري الليمون تعمل معي على رفعه أيضا .

الكاتب — هذا كلام معقول جدا ، ولا يمكن أن يفعله كلام ، بالطبع انا معك بكل ما أملك .

العمي — أريد منك شيئا واحدا وهو أن تتحقق عن طريق معارفك ايها اصح في هذين الفرضين . فاذا كان القانون يمنعني حقا ينتهي الموضوع عند هذا الحد ، اما إذا لم يكن القانون يمنعني فارجو ان تعينني على الأستمتاع بحقوقي التي يخولها لي القانون .

الكاتب — طلبك معقول وسوف اعمل على استقصاء ما يطلبه القانون وافيدك .

لا يهم ما تم في موضوع هذا العمي ، فالمهم في الموضوع نوع الحديث ومغزاه ، وقد حرص الكاتب على ان يدون هذا الحديث بعد حصوله بنصف ساعة تقريباً حتى لا ينسى منه شيئا ، ولم يغير منه او يبدل وإنما وضعه كما حدث ما وسعته الذاكرة ، وما التغير إلا فيما تطلبه قواعد اللغة في الكتابة من الفاظ دون اخرى .

(٦)

كان الكاتب يوماً في نادي كوبرى الليمون ، وإذا بصبي بلغ الثامنة عشرة من عمره يريد محادثتي . وكان قد مكث في قسم الصغار خمس سنين وتخرج الى قسم الكبار بالنادي وهو الآن عضو به ، أظهر هذا الصبي رغبته في مقابلتي فحددنا للمقابلة الموعداً حضر فيه دون تقديم أو تأخير .

الصبي — عندي موضوع أخجل من ذكره كل الخجل وكنت أود أن لا أوجد في هذا المركز أو أضطر للتحدث فيه .

الكاتب — ولا أنا أيضاً أود أن تذكره . فاذا كنت تستطيع أن تسويه بنفسك دون اطلاعي عليه فافعل ، أما إذا كانت معرفتي ضرورية لحل الأشكال فأنا تحت تصرفك .

الصبي — لا يمكن حله دون معرفتك .

الكاتب — تفضل اذن بسرد الموضوع .

الصبي — أنا لي الآن بالنادي خمس سنين عضواً لم انقطع عنه ، وقد افدت منه ، وهو قد خدمني في أشياء كثيرة في اللعب والصحة والاخلاق ، وعمل منا رجالا لهم كرامتهم وعزة نفوسهم .

ولكن حدث وأنا صغير في الزمن الأول لعضويتي بالنادي اني كنت أسرق من النادي بعض الأشياء أبيعها وأنتفع بثمنها ، أو أستعملها كملابس داخلية في الشتاء ، والأغلب اني كنت أبيعها ، وكثيراً ما أفكر الآن فيما صنعت ، وفي أن تصرفي هذا كان خالياً من الشرف والكرامة وبعيداً عن الولاء لمعهد رباني فعولت على أن أدفع ثمن ما سرقت .

الكاتب — ليس العيب في أن يخطيء الفرد وبخاصة متى كان صبياً صغيراً . وانما العيب كل العيب أن يستمر في خطئه

ونقائص نفسه الى أن تصبح معه عادة لا يملك إلا أن يعمل بموجبها فى تصرفاته .

الواقع أن الرواد كانوا يشكون فيك وكانوا يقولون انك كنت تسرق ويحترسون منك ويحافظون على ما يملكون إذا كنت موجوداً . كنا نعرف هذا ولكننا لم نشأ أن نطردك من المعهد عالمين انه قد يمكن لنا ان نبث فيك الرجولة والكرامة .

الصبي — هل كنتم تعلمون ؟

الكاتب — نعم

الصبي — غريبة . ولماذا لم تطردونى ؟

الكاتب — قلت لك . كنا نشعر بأنه فى استطاعتنا ان نغير ما بنفسك . وان تصرفك وانت طفل ليس من الضروري ان يلازمك وانت رجل . ونظن ان تقديرنا لم يعد الصواب كثيراً .

الصبي — وهل تعرفون ان بعض الصبيان الموجودين فى النادي الآن يسرقون متى وجدت الظروف المؤاتية .

الكاتب — نعرف ذلك . ونعرف بعضهم بالأسماء .

الصبي — لماذا لا تخرجونهم (فليلاحظ القارىء هذا المنطق العجيب . يدعونا هذا الصبي الى طرد من يسرق من الصغار)

الكاتب — لا نطردهم فقد نستطيع تغيير حياتهم . وكل ما نصنعه الآن هو ان نحرص على اشياء النادي .

الصبى — على كل حال أريد أن أسوى حسابي الآن .

الكاتب — سوه

الصبي — لقد جمعت ما سرقت في صغري من النادي وإذا به ستة سراويل للعب . واربعة قمصان وثلاث مناشف ، فما ثمنها لأني أريد أن أدفعه الآن بعد أن كبرت وأصبحت أتكسب ما يكفيني .

الكاتب — ثمن هذه جميعاً تسعون قرشاً . ولكن بما أنك سرقتها بعد أن استعملت نوعا ما . فاظنه من العدل أن نعتبرها مستعملة (نصف عمر) ونحسبها تساوي في ذلك الوقت خمسة واربعين قرشاً فقط .

الصبي — اشكرك . سأدفع هذا المبلغ لرئيس الرواد بالتقسيط لأني لا املك كله في أي وقت من الأوقات .

الكاتب — لك ما تريد ، واسمح لي أن ابين رضائي عن عملك هذا .

وقد دفع هذا الصبي المبلغ كله . فكان يدفع بين الحين والحين قرش او قرشين أو قرشاً ونصف ، وكنا قد فتحنا له حسابا في دفاترنا . وانتهى به الأمر بعد ستة شهور إلى أنه دفع المبلغ كله .

— ٧ —

هذه الحالة مبنية على خطأ ارتكبه الرائد المسؤل ، وهي لهذا لها مغزى معين . يذكر القارىء أننا تعاهدنا على استبعاد الوشاية من جو النادى ، فلا نطلب إلى الصبيان أن يسعى بعضهم ببعض أو يشى الواحد منهم بالاخر . عملنا بهذا المبدا وفهمه الصبيان وامتنعوا عن السعاية والوشاية ، وأصبحت الوشاية في النادى شيئا يتنافى مع التقاليد ومع العرف .

كان الرواد مجتمعين في لجنة تضم عددا من الصبيان يزيد على العشرة . وهم أرباب الوظائف في الجماعات المختلفة ، وبعد أن انتهى الأجتماع خرج الصبيان وبقى الأفندية بضع دقائق يبحثون في أمر من الامور ، وإذا بصبي

يطفئ نور الحجرة على الزوار أثناء خروجهم. فكانت مداعبة لطيفة بهذه المناسبة بهيجة. فتشجع الرائد الأول واستدعى الصبيان كلهم بعد أن أضاء النور، وسألهم من منهم أطفأ النور. فسكتوا. وسكت معهم من عمل هذه المداعبة. فقال الرائد «إن لم تقولوا لي على من أطفأ النور سأطرد كل من النادي أسبوعاً كاملاً». فسكتوا ولم ينطق أحد منهم بشيء. فقال الرائد «حسن أنتم مطرودون أسبوعاً من النادي تفضلوا».

فخرجوا من الحجرة إلى الشارع مباشرة.

بالطبع لمنا الرائد على هذا التصرف. وقلنا له أننا موافقون على كل ما صنع إلا تحريضه الصبيان على أن يبوحوا بمن أطفأ النور. فلا مانع من أن يطلب من المخطئ، أن يعترف ويهدده بمعاقبة الجماعة كلها بسبب سكوته، وتحمله وزر ما سيحيق بهم من المضايقة، هذا معقول. أما أنه يطلب من صبي أن يشي بصبي آخر فهذا ضد القواعد التي نسير عليها. فوافق الرائد على هذا بالطبع ووعد باصلاح أخطائه وبالاعتراف بهذا الخطأ للصبيان أنفسهم.

أما ما كان من الصبيان فانهم خرجوا وتحملوا العقاب وبعد يومين حضر صبي وقال للرائد «أنا آسف لأني أوقفت الجماعة كلها في حرج وعرضتهم للعقوبة. وقد كان يحسن بي وبكرامتي أن أعترف في الحال. ولكني امتنعت وقتها. أما الآن فقد اجتمع بي الصبيان بعد خروجنا من هنا مباشرة ولاموني كثيراً وعنفوني واشتدوا في تعنيفي لا لأني أطفأت النور، فهم لا يرون مانعاً في هذا. وقد كانت مداعبة رضوا عنها وضحكوا لها، وإنما لأني سكت عندما سألتنا أنت. فاخطروا أن يتحملوا العقوبة. فضلوا العقوبة تقع عليهم دون ذنب جنوه. على أن يشوا بي.

ثم اجتمع الرائد معهم واعتذر لهم لأنه طلب اليهم أن يعملوا شيئاً يتنافى مع كرامتهم دون أن يفكر فيه أو يعطي نفسه فرصة للتفكير.

(٨)

كنا نشعر باستمرار أن الصبيان يتطلعون الى تفسير تعبيراتنا ، ونحن نتناولون في منازلهم ، وقد كان الأطباء يقولون لنا باستمرار أن معظم ما يشكو منه هؤلاء راجع الى حاجة أجسادهم للتغذية ، ولذلك يجب علينا أن نقدم لهم بعض الشيء على أي حال . وعلى الرغم من أن الأطباء يطمئنوننا بخصوص حالة الصبيان البدنية فهم مطمئنون جدا ، وهم احق بأن يعنوا بها ، ولكننا كنا معنيين أيضاً بحالتهم النفسية ، بكرامتهم واعتدادهم بأنفسهم ، وتنشئتهم على احترام ذواتهم ، بعيدين عن التدني لحاجة حقيقية أو مزعومة ، ويهمهم أن يشبوا رجالا معتزين برجولتهم يكرهون أن يذلوها لشهوة أو لمنفعة .

فكيف نوفق بين هاتين الضرورتين . كيف نقدم لهم بعض ما يطعمهم دون أن نمس هذه الكرامة . بالطبع لو قدمنا لهم ما يأكلونه فسوف يأكلون ويفرحون ، وقد يحسون بما يفعله الأكل في أجسامهم ، ولكنهم لن يحسوا بما يفعله في نفوسهم ، ولن يدروا بأثره في هذه النفوس ، أما نحن فكنا نحس وندري ، ولذلك فقد امتنعنا عن تقديم أي نوع من المأكولات ، وصرنا آسفين على هذه الحالة ، وبقينا على هذا الوضع ما يقرب من السنتين منتظرين فرصة تؤاتينا ننفذ منها الى حل هذا الاشكال .

وإذا بيوم من الأيام يذهب بعض الصبيان الى منازل الرواد ويطرقون أبواب من في الاجازة منهم ، ويقولون لهم أنهم مطلوبون في النادي لأمر مهم غدا في الساعة الفلانية ، وأنهم لابد أن يحضروا في الموعد لأهمية الموضوع . وحاول بعضنا أن يعرف الموضوع أو شيئاً عنه أو حتى إشارة الى ما يدل عليه ، فلم يفلحوا لأن الصبيان أمسكوا عن الكلام في الموضوع امساكا تاماً ، فعلمنا أنهم تعاهدوا على الكتمان التام وأنهم قد نجحوا في كتمانهم للموضوع ، فلم تبدر من صبي منهم بادرة تدل عليه ، وكان هذا هو الحال مع جميع الرواد فلم يستطع أحد منهم أن يتكهن بما يراد منه في الغد .

حضرنا في الموعد المضروب . وإذا بما يقرب من المائتين من الأعضاء مجتمعون حول بعض أوعية الشاي والحلوى ، وقد كانت الأوعية كلها مستعارة من منازلهم ، فكنت تجد منها كل لون وشكل ، من الفخار والمعدن والصفيح والنحاس ، وكانت الحلوى مما يباع في أمثال هذا الحي ، وكان الصبيان قد حضروا الشاي على طريقتهم ووضعوا فيه من اللبن والسكر ما يتفق وأمزجتهم مما لا يخطر ببال أحدنا أن يفعله ، فكان أشبه بالشربات منه بالشاي .

وتبين أنهم كانوا قد اتفقوا من زمن طويل على عمل هذه الحفلة لنا ، اظهاراً لتقديرهم وحبهم ، وكانوا يجمعون الملاليم لها من زمن طويل ، وكانوا قد اجتمعوا من وراء ظهورنا ودبروا شئونهم ونظموا أنفسهم وقسموا العمل بينهم ، فهذا ينظم جمع الأوعية من الأعضاء ، وذاك معه لجنة لجمع النقود ، وغيره معنى بتدبير ما يلزم من مأكل ومشرب ، إلى آخر هذه الترتيبات التى تستغرق زمناً طويلا وجهوداً متصلة يقوم بها عشرات من الصبيان توكل إليهم . كل هذا دون أن يتسرب إلينا شيء من أخبارها لأنهم كانوا قد تعاهدوا على ذلك ، وان يستطيع فرد منهم أن يخل بعهد الجماعة .

تناولنا الشاي والحلوى وحضرنا حفلة لطيفة أقامها الصبيان لتسليتنا ، فيها التمثيل والنكات والأغاني والخطب منهم وغير ذلك . مما يكون في الحفلات عاده ، واستجاب أحدنا بكلمة نيابة عن الرواد ، شكرهم فيها وعبر بها عن شعورنا الخالص نحوهم .

وبعد أن انفض الاجتماع العام ، اجتمع الرواد في مكان ما بعيداً عن الصبيان ليدرسوا هذا التصرف من الصبيان ويستخرجوا منه العبرة اللازمة . وأهم هذه العبر إستيثاقنا من شعورهم نحونا وثقتهم فينا ، ثم أخذنا نبحث

فى أوجه استغلال هذه الحادثة لفائدة الصبيان وخدمتهم ، وبعد أعمال التفكير والروية فى الموضوع قررنا ما يأتي :

١) أن نرد الجميل للصبيان ، وذلك بأن يقوم الرواد بالصرف على أربع حفلات من هذا القبيل ، فيحضرون الحلوي وبعض المأكولات التي تغذى وتفيد هؤلاء الصبيان . واخترنا لها يوماً بذاته من الأسبوع دعوناه يوم السمر ، وقد كان يوم الثلاثاء من كل أسبوع لمدة أربعة أسابيع .

٢) أن نطلب إلى جماعة من جماعات الصبيان أن تحضر البرنامج وتقوم به من أغانى وتمثيل وخلافه .

٣) أن نستغل هذه الحالة التى أوجدها الصبيان أنفسهم فى ابتداع نظام للتغذية يعينهم نوعاً ما ، وذلك بحسب ما تسعه حالتنا المالية ، ودبرنا لهذا وسائل سيأتي الكلام عنها .

٤) أن ندعو هذا النوع من البرنامج (سمراً ونفسي كلمة تغذية كل النسيان ، فلا نتحدث فيها نحن الرواد حتي فيما بين أنفسنا لأن استعمال لفظة يصبح عادة فى استعمالها ، وقد تزل ألسنتنا مع الصبيان فنذكر التغذية عن غير قصد فنعطيهم فكرة عن غاياتنا البعيدة دون قصد .

ثم قمنا بهذا البرنامج ، فعملنا أربع حفلات (سمر) واحدة فى كل اسبوع في الموعد المحدد لها ، وقد حرصنا على أن يكون ما نقدمه لهم مما يفيد فى التغذية ، وذلك بعد استشارة الطبيب ، وقام الصبيان أنفسهم بالبرنامج الأجتماعى لهذه الحفلات كما طلب اليهم ، وفى نهاية الشهر ، أو بعد الفراغ من الحفلات الأربع ـ طلبنا الصبيان إلى اجتماع عام ، وقف فيه احدنا وقال :

ياإخوان ، نشكركم على حفلتكم الأولى التى فتحت المجال أمامنا كلنا للاستمتاع بخمس حفلات رائعة سررنا منها والتذت نفوسنا وروحنا بها وتفكهنا بعض الوقت . والفضل في هذا لكم لانكم أول من شعر بفائدة

هذه الاجتماعات وشكر على تخليدها . فقد أحسن الرواد هذا الضرب من السمر والتسلية : أحسبوا ما يستهلكون ليلة من براح الجيوب ليلة بعد ليلة كلونه فما يسلي ويروح عن النفس ، ويطمئن بطونهم بعد التعب الشديد بالكرة وبعد الاستحمام . وقد لو استمرت هذه الحالة في النادي ، تحضر كل يوم للإلقاء ، وتجتمع اجتماعات مستقلة كالعادة ، ثم نذهب كلنا العابا عنيفة ونستحم ثم نجتمع للتسلية ولبعض ما نأكل مما يصبرنا إلى موعد العشاء .

والآن يقترح الرواد عليكم اقتراحا إن وافقتم كلكم عليه عملنا كما اقتضاه ، وإن لم توافقوا فلكم الأمر ، ومنا اليكم الشكر على ما كنتم السبب فيه من المتعة والتسلية . والاقتراح هو أن تجمعوا بعض النقود فيما بينكم ونجمع نحن الرواد بعض النقود فيما بيننا ، ثم نجمع هذه إلى تلك ونستمر في إقامة حفلات السمر بهذا الوضع ما وسعته النقود التي جمعناها .

قال هذا ثم جلس .

الرئيس — أمامكم الآن اقتراح ، وهو أن نستمر في هذه الحفلات بالوضع الذي شرحه الرائد

صبي — هذا اقتراح وجيه ونحب أن نعمل به

صبي — نعم وجيه

صبي — نوافق

الرئيس — لا أرى معارض في هذا الاقتراح ولا أرى مناقشة فيه يظهر أننا سنطرحه للتصويت دون مناقشة . من يوافق يرفع يده (الجميع يرفعون أيديهم) من يعارض يرفع يده (لا أحد)

الرئيس — موافقة بالاجماع . والآن نبحث في مقدار النقود وفي طريقة جمعها

حسني — ندفع كل صبي خمسة قروش

صبي — لا — قرشين

الرائد — لا اظن أن هذا مجال المناقشة في هذا الموضوع . أظن أنه يحسن بنا أن نترك هذا للجماعات لتبحثه وتحدد القيم ، وتحصل النقود من أعضائها كما تريد . ولا يهم ماذا يدفع الفرد أو ماذا تدفع الجماعة فظني أن مثل هذا التقدير يترك للفرد أولا ثم للجماعة . والجماعات تجمع ما تقرره وتدفعه خزينة النادي ، ونحن الرواد سنعمل هذا ولن نقرر للفرد منا ما يجب أن يدفع أو ما يستطيع أن يدفع : بل سنترك تقدير هذا له شخصياً .

الرئيس — توافقون على هذا ؟

الأعضاء — (يوافقون)

الرئيس — انتهى الاجتماع

ثم بحث هذا الموضوع في الاجتماعات الخاصة بالجماعات وكانت كل واحدة منها تحرص على أن يكون ما تتبرع به أكثر مما تتبرع به الجماعات الأخرى فالاندفاع كان لناحية المغالاة دون الاقلال . وكان كل رائد جماعة معنياً بتحويلها عن المغالاة . وكان أن اجتمع لدينا من الصبيان وحسبهم ما يقرب من الأربعة جنيهات (وعددهم ٥٠٠ عضواً) دفعت على أقساط يدفعها الأفراد بالملاليم تجمعها الجماعات وتودعها خزينة النادي ثم تبرع الرواد بما جادت به نفوسهم وخصصت لنا ادارة النادي مبلغاً لا بأس به من خزينته لهذا العمل .

واتصلنا بالطبيب ، ووضعنا له حدود ما نريد أن نصرف في كل مرة ، وتركنا له تخير ما يغذي ويسلي في نفس الوقت .

وعندما تفرغ النقود تعود الى جماعات الصبيان ، فاذا وافقوا على استئنافها وتظيمهم سيوافقون ، سوف نلجأ اليهم والى الرواد والى الادارة الناشئة للحصول على مبلغ آخر .

(٩)

احتاج ملعب كرة السلة الى ملء عربتين من الرمل لاصلاحه وتسويته بحيث يصلح للعب ، إذ أنه بدون فرشه بالرمل بين الحين والحين ، وترشه وتسويته ودكه ، تظهر الحجارة والزلط التي يدك بها الملعب . احتجنا الى هذا يوماً من الأيام ، وكنا في حالة مالية حرجة ، فأردنا ان نقتصد ماوسعنا الاقتصاد حتى يجوز المعهد هذه الحالة ، وتتوافر له النقود التي يطمئن اليها ، فيقوم بالأعمال الضرورية المطلوبة .

شكا الصبيان هذه الحالة وتكلموا فيها الرواد مظهرين عدم رضائهم عن حالة الملعب ، وقد كانوا يظنون أنه ناتج عن إهمال منا ، ففي اجتماع عام لشأن من الشئون لا يذكره الكاتب الآن ، وقف الرائد الأول وقال :

نحن نعلم أن الملعب في حالة لا نرضاها الآن ، وإنه في حاجة إلى رمل لاصلاحه . وإمساكنا عن إصلاحه الآن ليس إهمالا منا بشأنه كما قد يظن البعض ، وإنما في الواقع لأننا لا نملك نقوداً الآن ، فأرجو أن تنعبوا عليه كما هو محتملين ما ترونه فيه من عيوب ، حتى إذا حصلنا على نقود أحضرنا الرمل وأصلحناه ، وأرجو أن تذكروا أن إدارة معهد كبير مثل معهدنا ليست من الأمور الهينة على القائمين به ، فأرجو أن تتعاونوا معنا بأن تغضوا النظر عما يظنه البعض عيوباً ونقائص في ناديناً ، وسنعمل من جهتنا بما وسعته أيدينا على تحسين معهدنا بكل وسائل التحسين .

تقبل الصبيان هذا الكلام قبولا حسناً ، وبقينا يومين أو ثلاثة دون أن يظهر أحدهم بالقول أو بالاشارة أنه غير راض عن الحالة .

وفي يوم ما وقفت عربة محملة رملا أمام باب النادي . وألقت حملها في المكان المعهود ، وكان يقود العربة صبي من أعضاء النادي أفرغ العربة وعاد من حيث أتى ، وبعد ساعتين أو ثلاث عاد بالعربة مملوءة بالرمل مرة أخرى ، ثم افرغها وعاد .

وأصلح الملعب .

وأمام الكاتب ملفات كثيرة تحوي عدداً كبيراً جداً من هذه الأمثلة ، ولكنه لا يريد ان يسترسل في سردها أكثر مما فعل وإلا طال الحديث وتشعب ، وتضخم هذا الكتاب بشكل يخرج عما قدره له الكاتب ، وعلى هذا يكتفي بما ذكر من الأمثلة التي استمدها من نشاط الصبيان وتصرفاتهم في هذا المعهد ليتفرغ لشيء آخر .